٧٥

الشيخ المفيد
وموقفه
من حركة الغلو

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بقلم

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بجامعة الأزهر وجامعة قطر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نام : **المقالات و الرسالات = مجموعه مقالات کنگرهٔ شیخ مفید (ره)**

تعداد اجزاء : ۵۰

مؤلّفان : **گروهی از علماء و اساتید حوزه و دانشگاه**

زبان : **عربی و فارسی**

چاپ : **اوّل**

تاریخ : **۱۴۱۳ هجری ـ قمری**

چاپخانه : **مهر ـ قم**

تیراژ : ۱۰۰۰

ناشر : **کنگرهٔ هزاره شیخ مفید (ره)**

بسم الله الرحمن الرحیم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل العلماء في كل زمان ومكان سادة؛ يردون الناس إلى الله، ويدعون إليه؛

والصلاة والسلام على رسول الله، المرسل رحمة وهداية للناس، وعلى آله الطيبين الطاهرين؛

أمّا بعد: فإنّ العلماء لهم في كل جيل دور كبير، يرشدون الجاهل، ويردون الضال وينطقون بالحق، ويواجهون التحديات، بالعلم والمعرفة.

ومن شأن النابهين والباحثين عن العلم وعن العلماء، أن يقفوا على علم العلماء؛ وما أفادوا به الإنسانية؛ ليتعلّموا ويفيدوا الأُمّة في تطلعها إلى مجد مشرق.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين ازدهرت بهم العلوم، وتزينت بوجودهم سماء معارفها السامية حوالي منتصف القرن الرابع الهجري الشيخ الجليل أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي العكبري المشتهر بالمفيد[1].

لقد كان ــ رحمه الله ـ من أعظم الشخصيات الإسلامية التي يعتز بها المسلمون، فقد ظهر في فترة ازدهار علمي؛ كانت بداية لتفتح ينابيع المعرفة التي ظلت مؤثرة.

لقد كانت حياة الشيخ المفيد؛ حياة علم، وعمل، وجد، وجهد، واستفادة، وإفادة؛ حتى اجتمعت فيه خلال الفضل والكمال؛ تتلمذ على العشرات من رجال العلم؛ وحملة الآثار، في عصره، حتى صار أوثق أهل زمانه، وأعرفهم بالفقه والكلام.

وكانت مدينة بغداد عاصمة المملكة الإسلامية حينذاك، مملوءة بكثير ممن ينتحل هذه

---

(١) انظر العلامة شيخ الإسلام الزنجاني، مقدمة أوائل المقالات في المذاهب المختارات، للشيخ المفيد، ط الحيدرية، النجف ١٣٩٣ هـ.

المذاهب، وبكثير من النظار والمتكلمين منهم، وكانت مجالس النظراء وأبهاء البحث والجدال قائمة. وكثيراً ما كانت تلك المجالس تنعقد بمحضر من الخلفاء والملوك وسائر أرباب النفوذ؛ يحضرها النظار ويتكلمون في المسائل الخلافية بينهم، وفي الآراء المذهبية، وسائر مسائل الفروع والأصول على ما هو معلوم من مراجعة السير والآثار؛ فكان الشيخ المفيد كلما حضر أمثال هذه المجالس، ويقتضي المقام الكلام في المسائل المذهبية؛ يناظرهم، ويجادلهم، ويرد عليهم شبهاتهم[١].

ترجم له رجال المعاجم وأصحاب التصانيف، وممن ترجم له بحر العلوم في كتابه: «رجال السيد بحر العلوم»[٢] والسيد محسن الأمين في كتاب «أعيان الشيعة»[٣] وابن الجوزي في كتابه «المنتظم»[٤]، وابن حجر العسقلاني في كتابه «لسان الميزان»[٥]، وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب»[٦]، وابن النديم في كتابه: «الفهرست»[٧]؛ والذهبي في «ميزان الاعتدال»[٨] وغير هؤلاء كثير من العلماء الذين عنوا بالرجال.

ولقد ذكرت التراجم أنّه رحمه الله: كان شيخ المشايخ، وفاتح أبواب التحقيق بنصب الأدلة؛ والكاسر بشقائق بيانه الرشيق؛ حجج الفرق المضلة. اجتمعت فيه خلال الفضل، وانتهت إليه رئاسة الكل. واتفق الجميع على علمه، وفضله، وفقهه، وعدله، وثقته، وجلالته؛ وكان ــ رضي الله عنه ــ كثير المحاسن، جم المناقب، حديد الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، واسع الرواية، كثير التصانيف، له صولة عظيمة، وكان كثير التقشف والتخشع، والإكباب على العلم، عن اليافعي في تاريخه: «مرآة الجنان» قال: الشيخ المفيد صاحب التصانيف الكثيرة، الشيخ المعروف بالمفيد، وبابن المعلم، والبارع في الكلام والفقه، والجدل، وكان يناظر كل عقيدة بالجلالة والعظمة، ومقدماً في الدولة البويهية.

وقال ابن طي: «كان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة، والصوم، حسن

---

(١) المصدر السابق، ص ٧.

(٢) انظر: بحر العلوم، رجال السيد بحر العلوم جـ ٣ ص ٣١١ ط النجف الأشرف ١٣٨٦ هـ.

(٣) انظر: السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، جـ ٤٦، ص ٢٠ ط الانصاف بيروت ١٩٥٩م.

(٤) انظر: ابن الجوزي، المنتظم جـ ٨ ص ١١ طبع حيدر أباد دكن.

(٥) انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، جـ ٥ ص ٣٦٨ ص ١٩٩.

(٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ ٣ ص ١٩٩.

(٧) ابن النديم، الفهرست ص ٣٦٦ ط الاستقامة بمصر.

(٨) الذهبي ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٢٦ ط مصر ١٣٨٢ هـ.

اللباس، وكان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد.

وفي الفهرست لابن النديم: «ابن المعلم أبو عبد الله، في عصرنا انتهت إليه رئاسة متكلّمي الشيعة، مقدم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطر، شاهدته فرأيته بارعاً»...

وقال السيد مهدي بحر العلوم: «هو شيخ المشايخ الأجلة، ورئيس رؤساء الملة، اتفق الجميع على علمه، وفضله، وفقهه، وعدالته، وثقته، وجلالته».

وقال الشهرستاني: هو نابغة العراق، ونادرة الآفاق، غرة المصلحين، أُستاذ المحققين، ركن النهضة العلمية، في المائة الرابعة الهجرية. آية الله في العوالم، معلم الأعاظم وابن المعلم.

وقال ابن الجوزي: الشيخ المفيد شيخ الإمامية وعالمها. وكان له مجلس نظر بداره يحضره كافة العلماء، وكانت له منزلة عند أُمراء الأطراف.

لقد تناول قضايا عصره ـ رحمه الله ـ وواجه التحديات التي تتحدى الفكر الإسلامي، والقضايا التي تناولها كثيرة، وكلها يحتاج إلى دراسة، لحاجة الأُمّة الإسلامية إلى استلهام هذه الآراء التي قال بها الشيخ المفيد.

ولما كان الغلو يصرف المجتمع الإسلامي عن أصالته، ويبعد الأُمّة عن مسيرتها؛ فقد بدا لي أن أعالج هذا الموضوع على ضوء استلهام رؤية الشيخ المفيد.

والغلو: يعني: الارتفاع، ومجاوزة الحد والقدر في كل شيء، أي الإفراط فيه. ويقال: غلا في الدين، والأمر، يغلو غلوّاً: جاوزه حده.

ويقول الشيخ المفيد: الغلو في اللغة هو التجاوز عن الحد، والخروج عن القصد[١].

وقال بعضهم: غلوت في الأمر غلواً: إذا جاوزت فيه الحد، وأفرطت فيه[٢].

قال تعالى: ﴿يا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُم ولا تَقُولُوا على اللهِ إلاّ الحقّ﴾ [٣] أي لا تبالغوا فيه، فتجعلوا المسيح إلهاً، أو ابناً لله[٤].

---

(١) انظر الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد، ص ٢٥٦ ط منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٣ ص ٢٠١١ ط دار لسان العرب، بيروت.

(٣) سورة النساء: الآية رقم ١٧١.

(٤) إبراهيم عبد الفتاح، القاموس القرآني للقرآن الكريم، ج ٢ ص ٦٠ ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٤٠٤ هـ

ويقول الشيخ المفيد في التعليق على الآية الكريمة: تنهى عن تجاوز الحد في المسيح، وحذر من الخروج عن القصد في القول، وجعل ما ادعته النصارى فيه غلواً لتعديه الحد[١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يا أهلَ الكِتَابِ لا تَغلُوا في دِينكُم غيرَ الحقِّ﴾[٢].

فالغلو موقف مبالغ فيه، في قضية مبدئية، أو في شخص... يرتبط بهذه القضية؛ ويكون الغلو مع الشيء المبالغ فيه أو ضده، تعبيراً عن الموافقة أو الرفض. فقد يغالي الإنسان بحبه وإعجابه، كما قد يغالي بكراهيته، وعزوفه[٣].

إذن الغلو: موقف إنساني مبالغ فيه، يقفه الإنسان من قضية عامة أو خاصة بشكل متطرف، يتجاوز حدود المألوف والمعقول[٤]؛ وهو إمّا غلو عام ساذج غير هادف، يجيء نتيجة اندفاع عاطفي تفرضه حالات آنية، طارئة. تستثير إعجاب الإنسان أو كراهيته. فيندفع معبّراً عن ذلك بآراء ومواقف متطرفة، لا تتناسب وما يقتضيه الحال والمآل[٥]. وإمّا غلو واعي هادف يجيء نتيجة إدراك ومعاناة فكرية، عميقة، في قضية دينية أو فكرية. يعبر عنها بسلوك أو أقوال غالبة. تهدف إلى أغراض معينة توضع لها وسائل خاصة بغية الوصول إلى تلك الأغراض[٦].

والغلو الذي واكب انتشار الإسلام في الأرض، هو من قبيل الغلو الواعي. الذي جاء نتيجة أسباب تتداخل مع بعضها، وتتعامل ضمن إطار واحد، في عملية متفاعلة، تكون فيها كل الأسباب، قوى مؤثرة في إحداث ظاهرة الغلو.

لقد نهى رسول الله ﷺ، نهياً قاطعاً عن الغلو. وجاء أنه ﷺ قال: «إياكم والغلو في الدين»[٧]. أي التشدد فيه ومجاوزة الحد[٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «هلك المتنطعون» ثلاثاً[٩].

---

(١) انظر: الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد ص ٢٥٧.

(٢) سورة المائدة: الآية رقم ٧٧.

(٣) الدكتور عبد الله السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ص ٧٣ ط بغداد.

(٤) المصدر السابق، ص ١٥.

(٥) المصدر السابق، ص ١٥.

(٦) المصدر السابق، ص ١٥.

(٧) رواه أحمد وابن ماجة والنسائي.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، جـ ٣، ص ٢٠١١.

(٩) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والطبراني والهيثمي.

وفي حديث علي رضي الله عنه «يهلك فيّ اثنان: محب غال. ومفرط قال»[١].

وفي حديث أبي موسى. أنّه قال: «من تعظيم جلال الله: اكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، واكرام ذي السلطان المقسط»[٢]. قال أبو عبيدة: الجافي عنه، هو المضيع لحدوده، والغالي فيه: المتعمّق المفرط، حتى يتعداه إلى غيره»[٣].

والقرآن؛ والحديث؛ واللغة تدل على أنّ الغلو هو التجاوز عن الحد والمقدار. فكل من قال بنبوّة من ليس بنبي، وبالاهيّة البشر، وبإمامة من ليس بإمام فقد استحق اسم الغلو[٤].

والغلاة هم في كل شريعة من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين؛ وهم أصناف كثيرة؛ وظاهرة الغلو في الإسلام قد ظهرت في نطاق الإسلام. والإسلام كان محور الأسباب معه تفاعلت تلك الظاهرة، ومع مبادئه تناقضت، وفي إطاره تحرّكت، وإليه هدفت.

ولما كانت ظاهرة الغلو ظاهرة فكرية دينية، فإنّ الإنسان هو السبب الرئيسي في تحركها. حيث كان لتكوينه الفكري والحضاري أثره المباشر في عملية الصراع والتفاعل.

ولهذا فإنّ الأسباب الرئيسية في عملية التفاعل التي تسبّبت في ظهور الغلو، هي الإنسان والإسلام، فهما يشكّلان ركني هذه العملية وطرفي تفاعلها[٥].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أبعاد ظهور الغلو:

ولا شك أنّ طبيعة المجتمع، وطبيعة ما فيه من صراعات، أدت إلى ظهور الغلو والفرق الغالية وغيرها من الفرق. حيث أخذت كل فرقة دورها على صعيد الحياة الدينية، والسياسية، والفكرية.

كان همّ المسلمين في عهد الرسول ﷺ وأصحابه تدارس القرآن الكريم، والسنّة النبوية، في مجال الأحكام الشرعية والتعامل اليومي. يتأمّلون فيها ويستخرجون المبادئ والأحكام ويخاطبون الأمم المختلفة. وامتنعوا عن الجدل في العقيدة لنهي النبي ﷺ وصحابته عنه.

---

(١) الشيخ أبي حاتم الرازي. كتاب الزينة القسم الثالث ص ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الشيخ أبي حاتم الرازي، كتاب الزينة، القسم الثالث ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٥) انظر: الدكتور عبد الله السامرائي، الغلو والفرق الغالية ص ١٦.

فصفت العقائد مع قلة الوقائع والاختلافات بين الناس، لقرب عهدهم بالنبي ﷺ، وتمكنهم من الرجوع إلى الثقات (١).

وما أن توسعت رقعة الدولة الإسلامية، وامتدت حركة الإسلام شرقاً وغرباً، حتى انضم إلى الإسلام عدد كبير من أهل المدن التي انتشر الإسلام فيها، فجابه المسلمون مشاكل متعددة. بعضها عقدية، ناتجة عن احتكاكهم بالأديان والثقافات الأجنبية، وبعضها الآخر عملية تستدعي حلولاً فقهية بغية تنظيم العلاقات المتجددة، والأوضاع الناتجة عن انتشار الإسلام فما كان إلا أن تلاحقت الحوادث، وتعددت الحياة الإسلامية. فبدأت الفتن والمنازعات بين المسلمين (٢).

إنّ الدعوة الإسلامية منظوراً إليها من وجهة النظر الاجتماعية. كانت تمثل في مجملها نقلة فجائية أقرب إلى القفزة التاريخية منه إلى التطور الطبيعي المنطقي للأحداث. نقلت الحياة العربية من البساطة والانغلاق النسبي على الذات، والتركيب الاجتماعي البدوي، إلى حياة حضرية، تتميز بالتعقيد في البنية الاجتماعية والسياسية والدينية. ومن حياة قبلية تتحكم فيها وبها رابطة الدم والقرابة، إلى حياة اجتماعية أساسها العقيدة الدينية، التي تبشر وتدعو إلى الاخوة الإنسانية، ومن حياة اقتصادية رعوية إلى تنظيمات اقتصادية وتشريعية ماليه معقدة. ومن حياة سياسية تقوم على المشيخة إلى نظام مدني ودولة مترامية وجيش فاتح، ومن ديانة وثنية متفسّخة متهرّمة إلى عقيدة تتسم بالعالمية والشمول. وغالباً ما ينتج ويترتب عن النقلة الحضارية المفاجئة والسريعة صور من التأزّم والتوتر والقلق، تعم جوانب الحياة كلها. وقد تصل إلى حالات من الفوضى السياسية، والصراع الداخلي والفتن والحروب، شاهد على ذلك مصرع ثلاث من الخلفاء الراشدين غيلة. إمّاعلى يد حاقد، أو ثائر، أو متمرّد. وحروب أهلية عصفت بالحياة الإسلامية، مثل الفتنة الكبرى، وصفّين، والجمل، والنهروان،وكربلاء.

وفي حمأة هذه المصارع، والحروب، والفتن صار الناس يلتمسون وسيلة للنجاة تتجاوز المادة والوحدة النفسية. فكانت الفرق المختلفة.

فنشأة الفرق كانت وليدة الظروف المادية القائمة أوّلاً ساعد على ذلك التطور التاريخي،

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين ص ٢٨، ٢٩.

وانظر الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ص ١٣٨ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) انظر: الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ص ١٣٩.

المتمثل في الزمن ومعطياته. وفي الثقافة الأجنبية الوافدة. وذلك بالأخذ عنها والاستمداد منها. فالذي يقرره واقع الأحداث هو أنّ أثر الثقافات الأجنبية جاء تالياً ولاحقاً. وانحصر في تطوير هذه الاتجاهات والمذاهب وإثرائها. لا في خلقها وإبداعها. بحيث صارت هذه المذاهب - وخلال تطور زمني - تستوعب عناصر فلسفية ودينية من مصادر مختلفة، ومتنوعة، ومتباينة. وبدأت العواصف تهب على أرض وحدة المسلمين وتآزرهم. فتقتلع عوامل الاستقرار من جذورها تدريجياً، وتشق أخاديد الفتن بعمق، وتعمل على قتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ولقد عانت الأُمّة الإسلامية من آثار استشهاد الخليفة عثمان ما عانت. إذ تحوّل الدفع الإسلامي النشط، إلى نكسة مؤسفة، أصابت المجتمع الإسلامي في الصميم. وإذا كانت المخططات التي تتحرك بدهاء ومكر، استطاعت أن تحدث في المجتمع الإسلامي صدعاً كبيراً[١]. فإن الأحداث بعد ذلك تلاحقت وتتابعت حتى أثناء حكم الخليفة الرابع علي رضي الله عنه، وتعاظمت الأحداث بعد وقعة صفّين بين الإمام علي ومعاوية، وأثناء التحكيم. فكان هذا الحدث بدء الإنشقاق الكبير بين صفوف المسلمين، وظهور عدد من الفرق والجماعات والمفكرين[٢].

ولقد ظهر التحكيم كوسيلة لرأب الصدع، والح أصحاب علي رضي الله عنه على التحكيم بالرغم من معارضة الإمام علي له، لأنّه كان قاب قوسين أو أدنى من الظهور على الفريق الآخر. ولما أطاعهم كارهاً، عاد أتباعه، فأعلنوا أنّه: لاحكم إلا لله. وخرجوا عليه وكفّروه. واستتبع ذلك انقسام المسلمين إلى ثلاثة أقسام.

فريق يؤيد علي، وفريق يؤيد معاوية، وفريق ثالث أبى الخوض في النزاع. أمّا جماعة المعتزلة. فاعتزلت الأوضاع السائدة في رأي فريق من الباحثين[٣]، وانقطعوا إلى العلم

---

(١) انظر: الدكتور مصطفى حلمي، قواعد المنهج السلفي، ص ٨٠ ط دار الدعوة بالاسكندرية، ١٤٠٥ هـ

(٢) الدكتور علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ ١ ص ٢٢٤ ط دار المعارف بمصر.

(٣) بعض العلماء يرى أن المعتزلة نشأت في قوم من أصحاب علي رضي الله عنه حيث اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية، وفي ذلك يقول أبو الحسين الطرائفي في كتابه: «أهل الأهواء والبدع» وهم سمّوا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي - عليه السلام - معاوية، وسلّم الأمر إليه، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة. انظر: الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٨ ط دار الفكر العربي.

والعبادة، يتدارسون القرآن، ويتدبرونه متخذين جانب النظر العقلي في العقائد الإيمانية، مدافعين عن الإسلام في وجه العقائد والفلسفات التي دخلت الإسلام، دون أن يأبهوا بهذا الخطب السياسي. فكان ظهور المعتزلة: الفرقة العقلية (١).

أمّا أبو الحسن الأشعري، فقد نشأ بين المعتزلة، ودرس على رجالها، وتبنّى أفكارهم أربعين عاماً. وما أن نضج فكرياً حتى أعلن انشقاقه عن المعتزلة، وخروجه عليها مكوّناً خطاً واضحاً ومتميّزاً عنها، فتابعه تلاميذه ومريدوه(٢).

ويحسن أن نعرف أنّ هذه الفرق التي أشرنا إليها ليست الوحيدة في معترك الحياة السياسية، والفكرية، والاجتماعية. حيث ظهرت معها وبفترات زمنية متعاقبة ومتداخلة، فرق الجبرية، والقدرية، والمرجئة «وما تولد من ذلك» فكان لجميعها أثر في الحياة الفكرية العقلية الإسلامية(٣).

لا شك أن الفرق غالت فيما ذهبت إليه. نتيجة لما تحب أو تكره. وظهر الغلو في الأشخاص، والغلو في المبادىء.

والغلو في الأشخاص قد يكون إفراطاً في الحب، وقد يكون تضليلاً مقصوداً ليندفع آخرون في الضلال. يقول الشيخ المفيد: «والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الالوهية والنبوّة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا به الحد، وخرجوا عن القصد» (٤).

ثم يقول الشيخ المفيد مبيّناً الحكم فيهم: «وهم ضلاّل كفّار حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار وقضت الأئمة عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام» (٥).

ويذكر الشيخ المفيد: أن المفوضة صنف من الغلاة. وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة: اعترافهم بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القدم عنهم؛ وإضافة الخلق والرزق مع

---

(١) انظر: الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص ٣٦ ط مكتبة المثنى بغداد ١٣٨٨هـ.

(٢) ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الإمام أبو الحسن الأشعري، ص ٣٤ بتصرف.

(٣) انظر: أبو عذبة، الروضة البهية بين الأشاعرة والماتريدية ص ٣، ٤.

(٤) الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق، ص ٢٥٧.

(٥) المصدر السابق ص ٢٥٧.

ذلك إليهم. ودعواهم: أنّ الله سبحانه وتعالى تفرّد بخلقهم خاصة. وأنّه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال[١].

ومن المعلوم أنه قد أُوثر عن الأئمة أنفسهم وعن متكلّمي الشيعة القول بمروق هؤلاء الغلاة. يروى عن الإمام علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنّه كان يكره الغلو لأنّه لا يريد أن يرتفع بمنزلة يكون فيها أعلى من المسلمين، فقال في ذلك: «أيّها الناس أحبّونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً»[٢].

أمّا الغلو في المبادىء، فهو غلو في فهم مبادىء الإسلام، يتجاوز به حدود اللغة والشرع «مثل تجويز الخروج عن شريعة النبي ﷺ ، ومثل الإلحاد في أسماء الله وآياته، ومثل الخزعبلات السحرية»[٣].

والتداخل بين الغلو في الأشخاص والغلو في المبادىء واقع، حيث أنّ الغلو في الشخص يكون عن طريق الغلو في المبدأ والغلو في المبدأ يحصل عن طريق الغلو في الأشخاص... وهكذا يكون التداخل بينهما، فهما وجهان في عملية متفاعلة واحدة[٤].

والغلو كانت بداياته الأُولى ملازمة لنزول القرآن الكريم، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله: ﴿هُوَ الذي أنزَلَ عَليكَ الكِتَابَ منهُ آياتٌ محكماتٌ هنَّ أُمُّ الكتابِ وأُخر متشابهاتٌ فأمّا الّذينَ في قلُوبهم زيغٌ فَيَتّبِعُونَ ما تَشَابهَ منهُ ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاء تأويلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تأوِيلَهُ إلاّ اللهُ والرَّاسِخُونَ في العِلمِ يقُولُون آمنَّا به كلٌّ مِن عندِ ربِّنا وما يذَّكّر إلاّ أُولوا الألبابِ﴾[٥].

ولذلك يعد من رسوخ العالم بعلمة. أن يعرف مجاله الذي يمكنه أن يجول فيه وأن يكرم نفسه عن اقتحام ما لا مجال له فيه. ويعد من سطحية المدعي للعلم، أن يتهجّم على كل شيء. سواء أكان له دراسة فيه أم لم يكن. ولا ترى أبداً عالماً راسخاً يجيب عما يسأل عنه فور سؤاله. ولا يتهجّم بالحكم على ما لا يعلم. وكثيراً ما ترى أنصاف العلماء، أو أرباعهم، أو أعشارهم يخوضون فيما لا يحسنون، ويجيبون عما لا يعلمون، ويتهجمون على ما ليس لهم

---

(١) انظر: الشيخ المفيد: شرح عقائد الصدوق ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والشيعة، ص ١٤٨، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م.

(٣) ابن تيمية، الدولة ونظام الحسبة، ص ٦٥.

(٤) انظر: الدكتور عبد الله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ص ٧٤.

(٥) سورة آل عمران : الآية رقم ٧.

اختصاص فيه[١].

وقد تأثرت حركة الغلو بجميع الظروف التي مرت بالأُمّة الإسلامية. ومن ثم توسعت هذه الحركة، وتعقدت، وانتظمت قواها في فرق متعددة، ووضعت كل فرقة أُسلوباً خاصاً للعمل، وتنظيمات دقيقة، من أجل مواصلة الصراع، وراحت تحقق أغراضها في معزل عن مراقبة السلطة ومحاسبتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

إنّ حركة الغلو ظهرت في نطاق تأويل مزعوم، لبعض المفاهيم الإسلامية، بالإضافة إلى اعتمادها على أُسس دينية وفكرية مناقضة للإسلام. وقد أدرك الغلاة بأنّ الإسلام عقيدة وشريعة كل متكامل. فهدفت حركة الغلو إلى مقاومة الإسلام ومحاولة هدمه من الداخل بعمل منظّم ومرتب ودقيق تحت ستار التظاهر بالإسلام[٢].

ولقد توزّع الغلاة على جميع الفرق وعملوا بها، وهدفوا إلى تفتيت المسلمين وطحنهم في عجلة الإنقسامات.

يقول الشيخ المفيد: «وهم ـ أي الغلاة ـ قوم ملحدة وزنادقة يموهون بمظاهرة كل فرقة بدينهم»[٣].

والفرق الإسلامية التي ظهرت هي فرق اعتمدت الإسلام فهي جميعها فرق إسلامية. إلاّ أنّ الغلاة توزّعوا على هذه الفرق، لأسباب مختلفة، فعملوا على وضع آرائهم ومواقفهم من خلف تلك الفرق الإسلامية[٤].

وإنّ عملية ظهور الغلو في داخل الفرق الإسلامية، تقع حين يأتي واحد أو أكثر من رجال الغلو برأي، أو يفسر ظاهرة، فيكون هذا الرأي، والملتفون حوله، فرقة جديدة، تعمل في مسار معيّن، يرتبط بالفرقة الأصلية، بشكل من أشكال الإرتباط، ويعمل بعيداً عن هذه الفرقة. ثم يعود إليها من أجل ضمان التستر، والمحافظة على حركته، من المحاسبة والمعاقبة[٥].

لقد وجد الغلاة في عملية الانتشار، على كل الفرق الإسلامية، أُسلوباً يحقق أهدافهم،

---

(١) الشيخ محمد المدني، الجوانب التوجيهية للعقائد والمثل في الإسلام ص ٩٧ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨١ هـ.

(٢) انظر: نظلة الجبوري، حركة الغلو وأُصولها الفارسية ص ١٨.

(٣) انظر: الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد ص ٢٥٩.

(٤) الدكتور عبد الله السامرائي، الغلو والفرق الغالية ص ٨٠، ٨١.

(٥) المصدر السابق ص ٨١.

ولذلك يقول ابن حزم: «وقد تسمّى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام، على أنّه ليس مسلماً. مثل طوائف من الخوارج غَلوا. فقالوا: إنّ الصلاة ركعة واحدة بالغداة، وركعة بالعشى فقط. وآخرون استحلّوا نكاح بنات البنين، وبنات البنات، وبنات بني الاخوة، وبنات بني الأخوات. وقالوا: إنّ سورة يوسف ليست من القرآن. وآخرون منهم قالوا: بحد الزاني والسارق ثم يستتابون من الكفر. فإن تابوا فبها وإلاّ قتلوا. وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا، فقالوا بتناسخ الأرواح. وآخرون قالوا: إنّ شحم الخنزير ودماغه حلال. وأنّ من عرف الله حق معرفته فقد سقطت عنه الأعمال والشرائع»[١].

الغلو في مبدأ الأُلوهية:

إنّ وحدانية الله سبحانه وتعالى، هي عقيدة المؤمن. وهي الإيمان بالله الواحد الأحد فإذا عمل الغلاة على هدم مبدأ توحيد الله في العقيدة الإسلامية، تهدمت وتداعت بقية مبادىء الإسلام.

ولذا عمل الغلاة على هدم مبدأ الأُلوهية لتحقيق هدفهم البعيد وهو هدم الدين الإسلامي.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لقد سعى الغلاة إلى هدم مبدأ الأُلوهية، عن طريق نقل الأُلوهية من الله سبحانه وتعالى إلى البشر، وهنا يقوّض مبدأ التوحيد المطلق: «لا إله إلاّ الله»[٢]. ويبدو أن التوجه إلى العمل من خلال مبدأ الأُلوهية قد تأخّر بعض الوقت. ويقول الشاطبي: «ولقد فصل بعض المتأخّرين في التكفير تفصيلاً في هذه الفرق. فقال ما كان من البدع راجعاً إلى اعتقاد وجود إله مع الله كقول السبأية[٣] في علي رضي الله عنه إنّه إلـه، أو حلول الإله في بعض الأشخاص كقول الجناحية: أنّ الله تعالى روح يحل في بعض بني آدم ويتوارث»[٤].

والغلو الذي يمتد إلى مبدأ الأُلوهية، ويجعل مع الله آلهة أُخرى، يعتبر أخطر وأعلى

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٢ ص ٢٤٦.

(٢) نظلة الجبوري، حركة الغلو وأُصولها الفارسية ص ١٨ ، ١٩.

(٣) السبأية فرقة تنسب إلى عبد الله بن سبأ، وكان هو ومن قال بقوله يزعمون أنّ علياً هو الإله، وأنّه يحيي الموتى، وادعوا غيبته بعد موته ووقفوا عليه، وقالوا هو القائم الذي يخرج. «انظر الشيخ أبي حاتم الرازي، كتاب الزينة، القسم الثالث، ص ٣٠٥».

(٤) الشاطبي، الاعتصام، جـ ٣ ص ٤٨.

مراحل الغلو، وقد وصل الغلاة إلى مبدأ الألوهية هذا عن طريق الحلول والتناسخ.

وقد حدد الغلاة في البداية نقل الألوهية إلى الأئمّة وبعدها انتقلوا بها إلى غيرهم وقد يدرك الباحثون أنّ عملية نقل الألوهية إلى الأئمة وغيرهم إنّما هي خطة مرسومة لهدم مبدأ التوحيد في العقيدة الإسلامية. وإنّ هدمه يجر معه هدم بقية المبادىء الأخرى[١].

يقول النوبختي: «اتفقوا على نفي الربوبية عن الجليل الخالق، تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، وإثباتها في بدن مخلوق. ويذهبون إلى أنّ البدن مسكن لله، وأنّ الله نور وروح، ينتقل في هذه الأبدان»[٢].

الغلو في مبدأ النبوّة:

إنّ الباحث فيما ذهب إليه الغلاة، يجد أنّ هؤلاء لم يكتفوا بمحاولة هدم مبدأ الألوهية «التوحيد». بل وجّهوا أنظارهم إلى مبدأ النبوّة كذلك. ليسيئوا إلى عقائد المسلمين. ومن المعروف أنّ العقائد الإسلامية تؤكد: أنّ محمداً ﷺ، اصطفاه ربّ العزة من البشر ليبلغ الإسلام إلى الناس، وأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليّ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ما كان محمّدٌ أبا أحدٍ من رجالكُم ولٰكن رسُول الله وخاتم النبيّين﴾[٤] وتدل هاتان الآيتان على أنّ النبي محمداً ﷺ، بشر كسائر البشر، ولكنّه متميّز عن البشر، بأنّ الله سبحانه وتعالى خصّه بالرسالة، فهو إذن إنسان مرسل من عند الله، وأنّ هذه الرسالة لا تسقط إنسانيته، ولا تصعد بها إلى مرتبة الألوهية[٥].

وعلى الرغم من ذلك فقد عمل الغلاة جهدهم وبشتى الوسائل لوضع الرسول في غير مكانه، ووضع رسالته في غير حدودها. وذلك لضرب عقيدة المسلمين من خلال هدم مبدأ

---

(١) الدكتور عبد الله السامرائي، الغلو والفرق الغالية ص ٧٦.

(٢) النوبختي، فرق الشيعة ص ٢٨.

(٣) سورة الكهف: الآية رقم ١١٠.

(٤) سورة الأحزاب: الآية رقم ٤٠.

(٥) انظر: الدكتور عبد الله السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ص ٦٧.
وانظر: نظلة الجبوري، حركة الغلو ص ٢٠.

النبوّة بشكل مباشر باتفاقهم على القول: «إنّ الرسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع»[١].

وفي هذا الزمان نرى أنّ دعاة البابية والقاديانية وغيرهم يزعمون أنّ لهم أنبياء ورسلاً بعد محمد رسول الله ﷺ. وقد رأيت بنفسي الرسائل التي كان يرسلها الدكتور رشاد خليفة[٢] من الولايات المتحدة الأمريكية إلى علماء كلية أُصول الدين بالقاهرة لبيان أنّه نبي الله[٣].

وبعض الغلاة ذهبوا إلى إنكار رسالة محمد ﷺ يقولون:«إنّ جبريل غلط في الرسالة، فأداها إلى محمد ﷺ، وعلي كان صاحبها»[٤].

وآخرون قالوا: إنّ النبوّة تكتسب بالعمل الصالح[٥]. وأذكر أنّني سمعت أحد الناس يحكي لي عن شيخه، فقال «إنّ محمداً ﷺ أخذ كلام الله عن طريق الوحي. أمّا شيخي؛ فقد أخذ كلام الله من الله مباشرة بدون وحي» إلى غير ذلك من افتراءات، لا زالت تتردد بين فترة وأُخرى...

ويكاد الغلو أن يمس كل جانب من عقائد المسلمين، فهو إلى ما عمله من هدم مبدأ الأُلوهية، ومبدأ النبوّة، سعى إلى هدم عقيدة المسلمين في المعاد، وما يتصل به، وسعى كذلك إلى هدم عقائد أُخرى، إنّ الغلو من أخطر الحروب التي تواجه الأُمّة الإسلامية.

وجملة ما يقال: إنّ العلامة الشيخ المفيد كان من العلماء المبرزين في مواجهة الغلو في الأشخاص والغلو في المبادىء. ومن يتعمق كتابه: «أوائل المقالات في المذاهب المختارات». كذلك كتابه: «شرح عقائد الصدوق»، يجد أنّ الرجل كان حريصاً على الإسلام والمسلمين، ولا يريد أن يندفع الناس في غلو يخرج بهم عن سماحة الإسلام ويسره. لأنّ الإسلام هو الدين الوحيد، الذي احتوى بين دفتيه، منهجاً متكاملاً لدين القدرة الكاملة والشاملة، على إتيان النفوس، من أبوابها الطبيعية، والتغلغل فيها عن طريق مؤثراتها الفطرية، التي لا تجد النفس السوية معها مناصاً، إذا مسّتها إشراقات الحق والخير، من التسليم إليها والاستجابة لها.

وفي نهاية هذا البحث الموجز الذي عرض للشيخ المفيد في إيجاز دقيق، كما عرض

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ ١ ص ١٧٩ ط دار المعرفة بيروت ١٤٠٢ هـ.

(٢) هو كاتب مصري يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اختطفته البهائية، ثمّ زعم أخيراً أنّه نبي.

(٣) وانظر: كذلك الدكتور طه الدسوقي حبيشي، مسيلمة في مسجد توسان، ص ٨٧ ـ ١٠٠ ط مكتبة رشوان بالقاهرة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(٤) الشاطبي الاعتصام جـ ٣ ص ٤٨.

(٥) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢ ص ١١٤.

لقضية حركة الغلو، ورؤية الشيخ المفيد فيها.

فإنّني أرى أنّ هذه المؤتمرات والندوات التي تعقد للوقوف على فكر عالم من علماء الأُمّة الذين سهروا على رعاية مصالح الأُمّة والوقوف بها في الطريق الصحيح مفيدة للمجتمعات الإسلامية في يقظتها الواعية وذلك لأُمور:

أوّلاً: أنّ الأُمّة الإسلامية تتعرض لغزو فكري يعمل لإذابتها وانسلاخها عن عقائدها ومذاهبها وحضاراتها. لتصبح مسخاً شائها تابعاً لغيره. ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإسلامية وخداعها والتمويه عليها، وقلب الحقائق، وتشويه الحقيقة، ويبدو لي أنّ مثل هذه المؤتمرات التي تتناول الأعلام. هي طريق من طرق مواجهة الغزو الفكري والتصدي له. فما أحرانا أن نبحث في مؤلفات العلماء الأفاضل لنستخرج منها كل ما من شأنه أن يعمل على وحدة الأُمّة.

ثانياً: أنّ مجتمعات الأُمّة الإسلامية، تحتاج في هذه الآونة إلى اجتماع الكلمة، ووحدة الصف أكثر من أي وقت مضى. ولا شكّ أنّ تناول العلماء والعرض لأفكارهم وآرائهم في ندوة علمية ومؤتمر عام يساعد المسلمين إلى التذكر بما كان عليه هؤلاء العلماء من حرص على مصلحة الأُمّة. ويساعد المسلمين كذلك على التبصر بمواقعهم.

ثالثاً: إنّ الأُمّة الإسلامية تملك رصيداً ضخماً من القيم الهادفة والمبادىء العليا. يمكن استثماره في العمل على وحدة المجتمعات الإسلامية. ولذلك فإن مهمة مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية. تصبح ضرورية لمصلحة هذه الأُمّة، التي يحاول أعداؤها تمزيقها بمختلف الأساليب، واجتماع العلماء في هذا المؤتمر دليل صحة وعافية، على السعي الدؤوب لجمع شمل الأُمّة.

رابعاً: قد لا يخفى على أحد أنّ الأُمّة الإسلامية محاصرة بين غربتين: غربة زمان، وغربة مكان.

أمّا غربة الزمان. فهي بعد الأُمّة عن ماض مشرق. لم تعد تربطها به عوامل الثقافة الفاعلة أو البانية.

وأمّا غربة المكان. فهي بعد الأُمّة عن واقع معاصر. نجهل عنه الكثير. ممّا مثّل فجوات كبرى.

ولذلك كان لابد لهذه الأُمّة من أن تعـود إلى ماضيها المشرق وتتعرف على سير علمائها المشهـود لهم بالحرص على جمع كلمـة المسلمين، وكان لابـد أيضـاً من أن نتعرف على واقعنـا. فنعود إلى وحدة الصف، والتفاعل.

وإذا كان العصر الذي نعيش فيه. هو عصر العلاقات العالمية الذي لا يتطلب مواطناً أصبح وأصلح من الإنسان الذي يوقن بالاسرة الإنسانية. فإنّ الذي لا شك فيه أنّ هذا العصر لا تسعده قوة مجتمعة أُخرى أصح له وأصلح من قوّة المسلمين.

وما أحرانا أن نتعرف على المعالم التي أنارت طرق الأُمّة وصحّحت الأفكار.

والاستجابة لهذه المعالم تضع أصحابها على الطريق الحق، وليس هناك من شيء هو أبر بالإنسان في حاضره، وفي مستقبله من أن يعيش الإنسان مع الإسلام؛ وللإسلام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصادر والمراجع

١ـ إبراهيم عبد الفتاح، القاموس القرآني للقرآن الكريم، ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٤٠٤ هـ.

٢ـ ابن تيمية، الدولة ونظام الحسبة، ط السعودية.

٣ـ ابن الجوزي، المنتظم، ط الهند.

٤ـ ابن العسقلاني، لسان الميزان، ط حيدر اباد.

٥ـ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط بيروت.

٦ـ ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الإمام أبو الحسن الأشعري، ط بيروت.

٧ـ ابن العماد، شذرات الذهب، ط بيروت.

٨ـ ابن النديم الفهرست، ط مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

٩ـ ابن منظور، لسان العرب، ط دار لسان العرب، بيروت.

١٠ـ الشيخ أبي حاتم الرازي، كتاب الزينة، ط بغداد.

١١ـ أبو عذبة، الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية.

١٢ـ بحر العلوم، رجال السيد بحر العلوم، ط النجف الأشرف ١٣٨٦ هـ.

١٣ـ الذهبي ميزان الاعتدال، ط مصر ١٣٨٢ هـ.

١٤ ـ الشيخ الزنجاني، مقدمة أوائل المقالات في المذاهب المختارات للشيخ المفيد، ط المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٩٣ هـ.

١٥ـ الشاطبي، الاعتصام، ط القاهرة.

١٦ـ الدكتور طه الدسوقي حبيشي، مسيلمة في مسجد توسان، ط مكتبة رشوان بالقاهرة ١٤٠٩ هـ.

١٧ـ الدكتور عبد الله السامرائي، الغلو والفرق الغالية، ط بغداد.

١٨ـ عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين.

١٩ـ الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ط مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٠ـ الدكتور علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط دار المعارف بمصر.

٢١ـ الدكتور كامل مصطفى الشبيبي، الصلة بين التصوف والشيعة،ط. دار المعارف بمصر١٩٦٩م.
٢٢ـ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ط الانصاف بيروت ١٩٥٩م.
٢٣ـ الشيخ محمد المدني، الجوانب التوجيهية للعقائد والمثل في الإسلام، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨١هـ.
٢٤ـ الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ط دار الفكر العربي، بيروت.
٢٥ـ الدكتور مصطفى حلمي، قواعد المنهج السلفي، ط دار الدعوة بالاسكندرية ١٤٠٥هـ.
٢٦ـ الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد، ط منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٢٧ـ الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ط مكتبة المثنى بغداد ١٣٨٨هـ.
٢٨ـ نظلة الجبوري، حركة الغلو وأُصولها الفارسية، ط مكتبة ابن تيمية ١٤٠٩هـ.
٢٩ـ النوبختي، فرق الشيعة، ط بيروت.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قطر ـ جامعة قطر ص ب ٢٧١٣
كلية الشريعة
د. أحمد عبد الرحيم السايح